ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Omani Resistance to the Portuguese Occupation of the Arabian Gulf

Prof Dr. Maad Saber Ragab [1]

Prof Dr. Raed Sami Hameed [2]

1- Tikrit University / Faculty of Arts, Department of History
2- Tikrit University / College of Education for Humanities / Department of History

Email: maad.saber@tu.edu.iq

Email: raed_aldoury @tu.edu.iq

Keywords:
Oman
Portuguese
Arabian Gulf
Nasser bin Morshed
Strait of Hormuz
Albuquerque

ARTICLE INFO

Article history:
Received 3 Feb. 2020
Accepted 18 Feb 2020
Available online 6 May 2020

* *Corresponding author: E-mail* : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

Oman has gone through difficult historical periods likewise the rest of the Arab Gulf regions from the fifteenth century until the mid-seventeenth century AD. These difficult periods were due to the arrival of the first invading European powers in the Arab region represented by the state of Portugal. Here, it is necessary to shed the light on what had happened to these regions, especially in Oman, which is located at the entrances to the southern Arabian Gulf. This particular location made Oman an influential force that played a "prominent" role in global events and international relations.

The historical events during the Portuguese invasion of Oman proved that Oman was suffering from political divisions resulting from sectarian and tribal disputes and repeated wars. These events created the appropriate climate for the Portuguese invaders and used them to stabilize what they were aiming to control, namely the Arab Gulf trade. Furthermore, Portuguese invaders aimed at excluding the role of Arabs in international trade by controlling the vital corridors and besieging the Gulf ports from practicing any navigation and commercial activity that supports their economic, political and social advancement, these conditions made the Omanis look forward to find a strong leader who would save them from chaos and disruption and lead them towards political independence.

© 2020 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.27.3.2020.12

المقاومة العمانية للاحتلال البرتغالي للخليج العربي

أ.د .معد صابر رجب / جامعة تكريت/ كلية الآداب

أ.د.رائد سامي حميد/ جامعة تكريت/كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

مرت عمان بحقب تاريخية صعبة حالها حال بقية مناطق الخليج العربي منذ القرن الخامس عشر إلى ما بعد منتصف القرن السابع عشر الميلادي، بسبب وصول أولى القوى الأوربية الغازية للمنطقة العربية المتمثل بالأحتلال البرتغالي .وهنا لا بد من إلقاء الضوء على ما تعرضت له تلك المناطق ولاسيما في عمان التي تقع عند مداخل الخليج العربي الجنوبية من حوادث، جعلت منها قوة مؤثرة أدت دورا "بارزا"في الأحداث العالمية والعلاقات الدولية.

أثبتت الأحداث التاريخية أبان الغزو البرتغالي لعمان، بأنها كانت تعاني من الانقسامات الداخلية الناتجة عن الخلافات المذهبية والقبلية والحروب المتكررة، وأن تلك الأحداث هيأت المناخ المناسب للغزاة البرتغاليين واستغلوها لتثبيت ما كانوا يهدفون إليه في التحكم بتجارة الخليج العربي، وإقصاء دور العرب في التجارة الدولية من خلال تحكمهم بالممرات الحيوية ومحاصرة الموانئ الخليجية من ممارسة أي نشاط ملاحي وتجاري يدعم نهوضها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، مما جعلت تلك الظروف من أن يتطلع العمانيون إلى زعيم قوي ينقذهم من حالة الفوضى والتمزق ويقودهم نحو سلطة مركزية واحدة، أدت إلى أن تضع حدا "للاحتلال البرتغالي وتحرير ساحل عمان جميعه من هيمنتهم وإقامة وحدة وطنية بين القبائل العمانية، والتي أثبتت جدارتها في دحر الغزاة في معاركها البرية والبحرية.

تناول البحث الأسباب الحقيقية التي جعلت من الاحتلال البرتغالي القوة التي سيطرت على عمان، ثم تناول البحث الأسباب التي أدت إلى ضعف وانهيار الاحتلال وانسحابه من المنطقة العربية تدريجيا"بعد أن وجهت له ضربات من المقاومة العربية في الخليج العربي .وبالمقابل تطرق البحث أيضا " الأسباب التي مرت بها عمان، والتي كانت سببا "في ضعفها وساعدت المحتل البرتغالي لاحتلالها ثم أخذ البحث بنظر الاعتبار الأوضاع الداخلية لعمان والخلافات التي كانت قائمة بين الغفاريين والهناويين لا سيما قبل قيام ناصر بن مرشد اليعربي بتأسيس الدولة اليعاربية عام 1624م, والتي كان لها دور مهم بالقضاء على الوجود البرتغالي، كما وأن عمان مرت بأحداث أخرى جعلت منها قوة "مؤثرة في المنطقة العربية والعالم.

البوكيرك.–مضيق هرمز–مرشد بن ناصر –العربي البرتغاليين – الخليج –الكلمات المفتاحية: عمان

أهمية عمان التاريخية والجغرافية:

عرفت عمان في المراحل التاريخية المختلفة بأكثر من أسم، من أبرزها (مجان) أو مكان وهو أسم الوادي في مأرب، و(مزون) وهي تسمية فارسية، و(عمان) نسبة إلى عمان بن قحطان وهو أول من نزلها بولاية أخيه يعرب بن قحطان، وقيل أن عمان سميت على أسم عمان بن إبراهيم (عليه السلام)[1].

تقع عمان في أقصى الجنوب الشرقي لشبه جزيرة العرب ، وتقدر مساحتها بثلاثمائة وتسعة الآف وخمسمائة كيلو مترا "مربعا"، على شكل مثلث تقريبا"، رأسه في شبه جزيرة مسندم في الشمال الشرقي وقاعدته في الجنوب الغربي عند حدود اليمن ، وعمان قاعدة الخليج العربي، تقع في مداخله من الجهة الجنوبية على الشاطئ الغربي، وفي الوقت نفسه تطل على المحيط الهندي، أي أنها تقع على الطريق الرئيس للتجارة الرائجة الممتدة من الصين إلى المدن الواقعة على جانبي الخليج العربي ، وهي

إحدى المراكز الرئيسة للتجارة على الساحل الغربي للخليج العربي ، كانت تستقبل السفن الآتية من البصرة متجهة إلى الهند والصين وشرقي أفريقيا وبالعكس .قصبتها صحار وأنها تعد خزانة الشرق والعراق[2].

ينتمي سكان عمان إلى أصول عربية، يرجع نسبهم إلى القبائل اليمنية والقيسية .وينحدر العمانيون من قبيلتين رئيستين هما اليمانية (القحطانية)، و(العدنانية) النزارية. ومما أشتهر به أهل عمان صناعة السفن[3], وتصديرها إلى الأقسام الجنوبية من الجزيرة العربية، وكانت الواردات التي تصل إلى عمان يعاد تصديرها مرة أخرى الى الهند، اذ كان العمانيون يؤدون دورا "مهما "في الملاحة والتجارة في الخليج العربي والمحيط الهندي. ومما زاد من أهمية عمان امتلاكها أنواع نفيسة من المعادن كالماس والذهب والفحم الحجري في سفوح الجبل الأخضر، بالإضافة للنحاس وأوكسيد الحديد الأحمر والرصاص والكبريت وهذه توجد في أنحاء متفرقة من عمان[4].

كانت تجارة الشرق حينها بيد العرب من عمان واليمن[5]، وقد شهدت عمان وبالتحديد في الربع الأول من القرن الخامس عشر الميلادي محاولة الأئمة الأباظيين استعادة نفوذهم السياسي على عمان مستفيدين من النفور والاستياء العام الذي كان يظهره السكان نحو نفوذ حكام جزيرة هرمز والمتحكم في موانئ عمان[6].

أما مسقط[7] فهي جزء من عمان، انفصلت عن الدولة العباسية في القرن العاشر الميلادي، وكونت من نفسها إمارة مستقلة كان يحكمها أول الأمر إمام ينتخبه الشعب، ثم انحصرت في عائلة السيد ناصر بن مرشد اليعربي[8]، ولم تكن على شيء من الأهمية حتى أتخذها البرتغاليون مقرا "تجاريا "لهم بعد هروبهم من هرمز سنة 1622م، فلما تضاءل نفوذهم نجح أهل البلاد في طردهم منها سنة 1650م، بعد نزاع دام زهاء عشر سنين[9].

التغلغل البرتغالي واحتلال عمان:

أثارت رحلات الاستكشافات الأوربية روح المغامرة لدى الأوربيين إلى درجة دفعت البرتغاليون والهولنديون والإسبان يتسابقون في الإبحار والدوران حول القارة الأفريقية للوصول إلى الهند ، علما "أن العرب قد سبقوهم إلى ذلك منذ بداية القرن العاشر الميلادي[10].

كانت البرتغال أولى الدول التي بدأت تهتم بالوصول إلى الشرق، وأنها أولى دول الاستعمار الأوربي التي دخلت القارة الأفريقية، إذ نزلوا في سواحل المغرب العربي سنة 1415م[11], وكانت حينها قد ابتدأت حركة الاستكشافات الجغرافية لديها على يد ملكها (هنري الملاح)، الذي شرع منذ عام 1418م, بأرسال بعثات استكشافية حول الساحل الأفريقي, وفي سنة 1482م, أنشأ البرتغاليون لهم مستعمرة في ساحل الذهب) وهي أول مستعمرة أوربية تقام لهم في أفريقيا[12].

اتجهت أنظار البرتغاليين نحو الشرق منذ أوائل القرن الخامس عشر الميلادي، إلا أن اندفاعهم بنجاح ناحيتي الشرق والغرب لم يتم الا في أواخر ذلك القرن، على أيام ملكهم (جون الثاني) (1481-1495م), الذي كان متشوقاً لنشر النصرانية وتوسيع رقعتها، وارتياد طريق تجاري جديد نحو الهند، وعلى أساس هذه الاعتبارات أرسل ملك البرتغال العديد من الحملات البحرية والبعثات السرية، وكان أول تلك

الحملات، ما قام به) بارثليمو دي دياز عام 1486م، بقيادة بعثة برتغالية بحرية استدار فيها حول الطرف الجنوبي من أفريقيا، واستطاعت أن تكتشف رأس الرجاء الصالح، ثم توج البرتغاليون اكتشافاتهم بوصول) فاسكودي كاما الى الهند عام 1499م، بمعونة الملاح العربي الشهير أحمد شهاب الدين بن ماجد الملقب (أسد البحر), وهو من مدينة جلفار في عمان والذي تولى قيادة أسطول دي كاما من أفريقيا وإيصاله إلى مدينة كاليكوت التي تقع في الساحل الغربي للهند[13].

أصبح البرتغاليون حين وصولهم إلى سواحل الهند أنهم وجدوا التجار العرب وسفنهم يغطون موانئ الهند، مما حرك في نفوسهم الحسد والطمع، فأرسلوا بعثة بحرية استكشافية للوقوف على أهمية هذه المنطقة ومعرفة مسالكها وطرقها البحرية ثم عادوا إلى البرتغال ليقدموا تقريرا "عما شاهدوه[14], وتتابعت رحلاتهم إلى الهند لحماية رأس الرجاء الصالح والطرق التجارية المؤدية إليه، وعلى أثرها بدأوا بانتزاع الإمارات العربية من سكانها المستقرين, وما أن حل القرن السادس عشر حتى كانوا يسيطرون على الطرق التجارية البحرية ما بين الشرق والغرب دون منازع وانتهجوا الأساليب المختلفة لاحتكارها، ومن تلك الأساليب أنهم بعد افتتاح الطرق البحرية المؤدية إلى الهند مروراً برأس الرجاء الصالح، أن تتحول وتحتكر مجمل التجارة الشرقية بأيدي التجار البرتغاليين، وسنوا قانوناً عام 1504م, حرموا بموجبه الخرائط التي تشير إلى طريق رأس الرجاء الصالح، ثم قرروا القيام بمراقبة حركة النقل التجارية في الخليج العربي، إذ أنشأوا عددا "من القلاع البحرية في هرمز والبحرين وعمان[15].

أن الأحداث التاريخية التي مرت بها المنطقة العربية كان أحد أسبابها خطأ الملاح العربي ابن ماجد الذي بعمله الذي كان دليلا للبحارة البرتغاليين، أدت الى أن تنتهي زعامة العرب على الملاحة والتجارة في المحيط الهندي، وحل بدلهم البرتغاليون, ولاسيما بعد أن اخترعت أوربا السفن التي تسير بقوة البخار بدلاً من الشراع فأصبحت تقطع المسافات البعيدة في مدد قصيرة، وتستخدم المدافع في القتال بدلا"من القسي والنبال[16], ولإحكام السيطرة على البحار الشرقية ومنافذها، كان للقائد البرتغالي الفونسو دي البوكيرك دوراً بارزاً في ذلك، إذ عين نائباً لملك البرتغال في الهند(1509–1515م) خلفاً لفرانسسيكو دي الميدا (1505–1509م) [17].

كان البوكيرك يرى بأن هناك ثلاثة مضائق للهند، تعد المفاتيح الرئيسة للسيادة على تجارة الشرق والتجارة العالمية، وهي مضيق ملقا عند مدخل مضائق سنغافورة، ومضيق باب المندب عند مدخل البحر الأحمر، ومضيق هرمز عند مدخل الخليج العربي[18], فبعد أن احتلت البرتغال على عدة مراكز لها في الهند أخذت تفكر في الاستيلاء على تلك المضائق ولا سيما منطقة الخليج العربي, وفي سنة 1506م استولى القائد البرتغالي البوكيرك في البداية على جزر كوريا وموريا الواقعة جنوب شرق ظفار على سواحل البحر العربي، وتم حرق السفن الراسية حول الجزر، ثم استولى على(قلهات) وأشعل النار في سفنها ثم أتجه الى(قريات) والتي قاومه أهلها، إلا أن البرتغاليين استطاعوا اقتحام الميناء ودخول المدينة على الرغم من التضحيات الجسيمة التي قدمها عرب مسقط للدفاع عن مدينتهم، وقد أستخدم الغزاة الأسلوب الوحشي في نهب وتدمير المدينة وقطع آذان مواطنيها مما جعل من عمان والتي كانت حينها خاضعة لأمير آل

جبر مقرن بن أجود بن زامل، الذي خاض معارك حامية ضدهم كرد فعل لقيام البوكيرك بحصار مسقط عام 1507م، مما أدى الى مقتل الأمير مقرن، ومن بعده زالت إمارتهم عام 1524م، بسبب التنافس الأسري على الإمارة، بعدها قام البو كيرك في العام نفسه بغزو عمان مستغلا "الحروب الأهلية وضعف دولة النباهنة، مما مكن البرتغاليون السيطرة على أجزاء كبيرة من السواحل العمانية[19].

منذ أن تولى البوكيرك القيادة كانت هرمز في طليعة خططه، وقبل أن ينفذ الهجوم عليها أمر بإحراق وتدمير كل السفن العربية الموجودة هناك، كما أمر باحتلال كل من قلهات وقريات وخور فكان ومسقط وصحار وذلك عام 1507م، بعدها استولى البرتغاليون على عدة مراكز لهم في الهند مثل مالقا عام 1511م, وجزر قمران وكوا، ليضمنوا السيطرة على الطرق البحرية والبرية التي تربط البلاد العربية بالهند والشرق الأقصى، وكانت قلهات، المدينة الواقعة بين صور وطيوي، أول مدينة وصل إليها البوكيرك وبعد أمطارها بوابل من إطلاقات المدافع المدوية لإضعاف الروح المعنوية لدى مواطنيها، فأنه لم يتركها الا بعد أن حصل على وعد من حاكمها، الذي كان تابعا "لملك هرمز، بتقديم ما يحتاجه البو كيرك من مؤن والإذعان له .ثم توجه إلى قريات التي ارتكب فيها من الإعمال المروعة فأمر بإحراقها بحيث لم يبق فيها بيت أو مسجد أو بناية إلا واحترقت بالكامل، وقام بجذع أنوف العرب وصلم آذانهم، وقام بالاستيلاء على ثمان وثلاثون سفينة صغيرة وكبيرة، وقد اخترقت جميعها .ثم توجه إلى مسقط التي تقع شمال قريات والتي كانت أيضا "تابعة لملوك هرمز وبعد أن وجهوا نيران مدفعيتهم إليها، وعلى الرغم من المقاومة الباسلة التي أظهرها سكان مسقط إلا أنهم اضطروا للاذعان وقبلوا بدفع الغرامة التي فرضها البو كيرك، وعندما لم تدفع الغرامة في وقتها فقد أمر بقطع آذان وأنوف رهائنه، ومن ثم نهب المدينة وإحراقها، وكرروا المحاولة عليها وتخريبها مرة أخرى عام 1514م، واحتلوا على أثرها الجزيرة وسيطروا عليها، وأصبحت من مراكزهم الرئيسة للتجارة في العالم، ومن ثم ذهبوا إلى صحار وخور فكان، إذ لم يواجهوا صعوبة في إخضاعهما، وعندئذ توجهوا إلى هرمز التي كانت كما ذكرنا الهدف الأساسي لحملة البو كيرك في الخليج العربي[20].

لم يكن من السهولة تحقيق ما يهدف إليه البو كيرك في السيطرة على هرمز، فقد صمم أهلها على المقاومة بشتى الوسائل لما سمعوه بما عمله البو كيرك بالمدن العمانية من أعمال وحشية، ومع ذلك استطاعت القوات البرتغالية أن تلحق أضرارا "كبيرة بجزيرة هرمز وسفنها الراسية في مينائها، ومن ثم أجبروا حكومتها للدخول في مفاوضات معهم تم التوصل فيها إلى عقد اتفاقية كانت لصالحهم حيث أكدت على دفع ضريبة سنوية لهم والسماح ببناء قلعة في الجزيرة, الا أن الخلاف الذي حصل بين ضباط البو كيرك في الرأي أدى إلى ترك الجزيرة، لكن الرسائل التي بعث بها المسؤولون البرتغاليون في هرمز إلى الملك البرتغالي والتي ذكروا فيها أهمية هرمز دعت حكومة البرتغال لاتخاذ قرار بإعادة السيطرة على الجزيرة ،ومن ثم تم السيطرة عليها عام 1514م.

وكانت هرمز تفتقر للقوة العسكرية والخبرة القتالية، وبالرغم من ذلك أنها استعدت لصد الغزاة، لكن القصف المدفعي للجزيرة والذي دام ثماني ساعات أدى إلى طلب حاكم الجزيرة المفاوضات معهم، والتي

جرت في جو إرهابي كانت نتيجته أن قام البوكيرك أثنائها بطعن مستشار حاكم الجزيرة فجأة عندما كان يتحدث معه فقتله، ثم أسفرت المفاوضات بعد ذلك عن الصلح بشروط قاسية عام 1515م، ومن تلك الشروط أن يدفع حاكم الجزيرة ضريبة سنوية مقابل إبقائه في منصبه، وأن يسمح للبرتغاليين بإقامة منشآت عسكرية فيها، وإعفاء تجارتهم من أية رسوم جمركية، مع حظر الإبحار لجميع السفن المحلية في موانئ الخليج من دون ترخيص منهم[21].

أصبح البرتغاليون بعد سيطرتهم على هرمز عام 1515م، يتحكمون بطريقي التجارة العالمية اللذين يربطان الهند باوربا عبر البحر الأحمر ومصر **الطريق الأول**، وكذلك عبر الخليج العربي ثم العراق والشام **الطريق الثاني**، بعد أن نجحوا في السيطرة على المضائق والقلاع المطلة عليهما[22], وقد استاءت القوى العربية المحلية من الظروف القائمة عموماً وأنها مستمرة باستمرار الوجود البرتغالي فيها، فضلاً عن تحالف البرتغاليين مع الصفويين في بلاد فارس، ونتيجة لتلك الأحداث تعرض الوجود البرتغالي في الخليج العربي لهزة عنيفة، شجعت انتفاضة في قلهات، وعلى قيام ما يماثلها في هرمز، وجاءت كرد فعل على تعيين موظفين برتغاليين فيهما وفي صحار وقريات، للإشراف على الشؤون الجمركية فيها، وأسفرت تلك الانتفاضات عن إلحاق خسائر كبيرة بالبرتغاليين، ولولا وصول تعزيزات بحرية برتغالية إليهم، لما تم توقيع معاهدة في 23 تموز 1523م، والتي وضعت هرمز بموجبها تحت الحماية البرتغالية[23].

الأوضاع العمانية وبداية المقاومة للاحتلال:

كانت عمان تحت حكم محمد بن إسماعيل(1500-1536م)، والذي تزامن حكمه مع المحتل البرتغالي للخليج العربي عامة وعمان خاصة، ويعد حكمه من أكثر الحقب استقرارا "في تاريخ الإمامة قبل مجيء الإمام ناصر بن مرشد، لكن عند وفاته تمت البيعة لابنه بركات، ولم تكن تلك البيعة وفقا "لنظام الانتخاب الذي يحظى بتأييد المجتمع العماني، وتؤيده الحركة الإباضية والمؤيدون لأفكارها, بل وفق نظام الوراثة، لذا جوبه بمعارضة من علماء الدين الذين انقسموا على أنفسهم ومن ثم تم انتخاب إمام آخر في فترة حكم الإمام بركات وهو عبد الله بن محمد القرن عام 1559م، فأصبح في عمان إمامان في آن واحد، مع عدم جواز ذلك في أنظمتهم، لذا تشتت الكلمة وتفرقت الجماعات وضعفت دولتهم ووهنت قوتهم، وتعرضت عمان للفوضى والارتباك وانقسمت الى شبه دويلات مستقلة على رأس كل منها حاكم مستقل[24]، وكان الذين يحكمون عمان هم من سلالة تعرف (النبهانية)، إلا أن حكمهم كان مقتصراً على عمان الداخل، وفي حوالي النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي، اشتعلت الحرب بين الأئمة والنبهانية للسيطرة على عمان الداخلية، وأصبحت عمان غاية في الفوضى والاضطراب، وأن الزعامات الصغيرة التي سيطرت على الأجزاء المختلفة، كانت عاجزة عن بسط سلطتها على البلاد، ولم تتمكن من دفع الخطر الأجنبي عن عمان، ولا سيما الاحتلال البرتغالي الذي وجد طريقه إلى السواحل العمانية بعد انهيار أركانه في هرمز في شباط عام 1622م، بعد استعانة الشاه الصفوي عباس الأول بسفن شركة الهند الشرقية الانكليزية على أخراجهم منها، نظير اقتسام الغنائم وعائدات المكوس معها، والذي يعد أكبر ضربة

قوية للوجود البرتغالي في الخليج العربي إذ لم تستطع بعدها إمكانية استخدام هرمز كقاعدة تجارية وعسكرية، وأنسحب البرتغاليون منها إلى مسقط التي غدت قاعدتهم الرئيسة في الخليج العربي، ولم تخمد جذوة الحرب بين الأئمة في عمان إلا بانتخاب الإمام ناصر بن مرشد اليعربي عام 1624م[25].

ان الملابسات التاريخية التي شهدتها عمان خلال فترة وصول البرتغاليين إلى المنطقة ولا سيما الوضع السياسي السيئ في عمان وأثناء حكم بني نبهان، فأن المقاومة العمانية للبرتغاليين لم تتوقف، بل أنها استمرت منذ مجيئهم وحتى بداية المقاومة المنظمة لهم في عهد أئمة اليعاربة، أي على مدى قرن ونصف القرن، فقد تعرض البرتغاليين خلالها لسلسلة من الانتفاضات المسلحة، وذلك كرد فعل على سياستهم القائمة على القسوة والظلم وتحطيمهم لتجارتهم وموانئها .وكانت أول تلك الانتفاضات التي حدثت في قلهات عام 1519م، إذ كانت هذه الانتفاضة من القوة بحيث أن نائب الملك (دوم ديجو لويز دي سكويرا) وصل إلى ميناء مسقط في مقدمة أسطول من ثلاث وعشرين سفينة بهدف القضاء عليها، ولكنه أستطاع تهدئة الوضع بعد أن وعد أهالي قلهات برفع الظلم عنهم[26], وفي عام 1526م, أعلن أهل مسقط وقلهات انتفاضة أخرى ضدهم بسبب كثرة عمليات الابتزاز في تحصيل الضرائب والتي أمر بها قائد الحامية البرتغالية في مسقط، الا أنهم عالجوا الموقف عن طريق إتباعهم سياسة مرنة مع السكان في كلتا المدينتين[27].

يعد الإمام ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب اليعربي(1624–1649م) أشهر أئمة اليعاربة وهو مؤسس الدولة اليعربية في عمان، وقد أجتمع أهل عمان على توليته إماما عليهم، فأجابهم إلى ذلك فعقدوا له الإمامة في عام 1624م، وقد سعى في بداية حكمه إلى توحيد البلاد، فبدأ بالرستاق والذي كان عليها أبن عمه مالك بن أبي العرب (فحاصرها واستولى عليها، ثم إلى منطقة) نخل, ثم توجه إلى أزكى ونزوى حتى انتظمت له البلاد العمانية كلها متخذا "من الرستاق عاصمة له، وتوطدت الأمور الأمنية والسياسية فيها[28].

يعد مجيء الإمام ناصر بن مرشد تحول مهم في تاريخ عمان، حيث وضع خطة واضحة للتخلص من البرتغاليين والتي تمثلت بتحرير سواحل عمان من هيمنتهم، بالاعتماد على إقامة وحدة وطنية بين القبائل العمانية، وبعد النجاح الذي حققه في عملية التوحيد ، قام بإرسال قوة بقيادة مسعود بن رمضان في نهاية عام 1632م, لطرد البرتغاليين من مسقط، وعلى الرغم من أنها لم تحقق أهدافها, الا أن ناصر بن مرشد وضع خطة أخرى تهدف إلى تجريد البرتغاليين من قواعدهم على طول الساحل، فوجه اهتمامه أولاً إلى تحرير جلفار رأس الخيمة، وتم له تحرير كامل ساحلها في تموز عام 1633م، ثم واصل تحرير صحار وتمكن من إخضاعها عام 1644م، ثم مينائي صور وقريات، وأستطاع طرد المحتل البرتغالي من جميع الساحل خلال عشر سنوات من تسلمه الحكم .وبعدها تم توقيع اتفاقية معهم في 31 تشرين الأول عام 1648، تضمنت تدمير القلاع البرتغالية في صور وقريات والتي تم تحريرها منهم عام 1634م ، مع إعفاء العرب من دفع الضرائب وضمان حرية التجارة لهم، إلا أن البرتغاليين امتنعوا من إقامة تحصينات خارج مسقط، فأشتبك معهم الإمام في قتال كانت نتيجته النصر عليهم، وطلبوا منه مهلة

قصيرة كي يتمكنوا من نقل ممتلكاتهم ومنشآتهم، ومن ثم تم الجلاء عن مدينة هرمز والتي تبعت لإمامة عمان نهائيا "ولم يتبق للبرتغاليين عند وفاة الإمام ناصر في 23 نيسان 1649م, إلا مسقط ومطرح وحصن في صحار[29].

أن أبرز جهود الإمام ناصر بن مرشد قبل وفاته، هي ضربه حصاراً قوياً حول مسقط، وإجبار البرتغاليين على طلب الصلح، ولما كانت شروط الصلح صعبة لم يقبلها البرتغاليون في بداية الأمر فأنه قد تجدد القتال مرة أخرى، إلا أن سوء أحوال البرتغاليين المحاصرين ونفاذ ذخيرتهم دفعهم لقبول شروط الإمام في نهاية كانون الأول عام 1648م، وأهم ما جاء في الشروط، أن يهدم البرتغاليون قلاعهم في مطرح وقريات، وأن تمر السفن العمانية دون أن تخضع لمراقبة السفن البرتغالية، ويعفى العمانيون الذين يفدون إلى مسقط من كافة أنواع الضرائب الشخصية والتجارية[30].

انهيار الاحتلال البرتغالي في عمان والخليج العربي:

أخذت الهيمنة البرتغالية تضعف في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر الميلادي، بسبب عدة عوامل منها اتحاد العرشين الإسباني والبرتغالي في عام 1580م، فأصبحت البرتغال تابعة لإسبانيا حتى عام 1640م, عندما استعادت البرتغال استقلالها، جعل ذلك الاتحاد أن يوجه اهتمامه بشكل رئيس نحو مستعمراته في العالم الجديد، أكثر من اهتمامه بالمستعمرات في الشرق، واتسمت سياسة البرتغال بعد الاستقلال بالتعصب والجشع والقسوة مما جعلهم مكروهين من السكان المحليين في عمان والخليج العربي، وفي الوقت نفسه عملوا على احتكار السلع المربحة لتجارة الشرق، ولم يتركوا المجال مفتوحا "للقوى من الدول الأخرى، التي دخلت منافسة لهم كالإنكليز والهولنديين، فضلا "عن قوة العثمانيين البرية والبحرية التي كان لها أكبر الأثر في طردهم من الخليج العربي .وبالرغم من جميع تلك الأسباب فأنه بعد سماع السلطات البرتغالية في لشبونة قبول قائدها لشروط الاتفاقية مع الإمام ناصر بن مرشد، عزلت القائد المسؤول عن توقيعها، وأرسلت تعزيزات إلى المنطقة، مؤكدة ضرورة المحافظة على مسقط، وعدم السماح للعرب العمانيين في الإقامة فيها، فزادت الإجراءات التعسفية من سخط العرب وتصميمهم على تحرير البلاد, ولم يؤثر وفاة الإمام ناصر بن مرشد عام1649م على معنويات العمانيين، فأن مجيء ابن عمه وقائده الأمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي(1649–1679م) ثاني أئمة اليعاربة، الذي تابع سياسة سلفه في مهاجمة البرتغاليين، فأنه أستطاع من انتزاع آخر مينائي كانا في قبضتهم وهما مسقط ومطرح، وفي 23 كانون الثاني عام 1650م, حوصر البرتغاليون في قلعة الجلالي في مسقط، وبعد قلة مؤونتهم اضطروا إلى التسليم وتركوا القلعة، وكذا هو شأن مطرح إذ سلم قائدها البرتغالي الحصن إلى القوات العمانية، وبهذا يكون العمانيون قد استكملوا تطهير بقية الأراضي العمانية من السيطرة البرتغالية[31].

لم ينته الصراع العماني –البرتغالي بطردهم من مسقط، وإنما ظل العداء مستحكما "بين الطرفين حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، إذ ظلت تراود البرتغاليين فكرة استعادة مسقط، إلا أنهم فشلوا وتراجعوا إلى كنج على الساحل الشرقي من الخليج العربي، وبعد أن صار للعمانيين قوة بحرية حديثة

ذوات الأشرعة المربعة المزودة بمدفعية حديثة استطاعت أن تطرد البرتغاليين وتواجدهم لا في الخليج العربي فحسب، وإنما في مراكزهم الرئيسة في الهند وشرق أفريقيا، وقاموا بهجوم مباغت على مركزهم في كنج حيث تم تدميره فخسر البرتغاليون بذلك آخر معاقلهم في المنطقة[32].

الخاتمة:

لم تستطع القوى الأوربية الموحدة بعد مائتي عام من الجهود المضنية أن تحقق أي غرض من أغراضها ضد البلاد العربية في حملاتها الصليبية والتي كانت آخرها أسر قائد حملتها القديس لويس عام 1250م، وكان للعرب المسلمين وللمماليك في مصر، دوراً مهماً في المقاومة ودحر قواتهم الغازية، لذا لجأ البرتغاليون إلى تطويق البلاد العربية ابتداء "من أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلاديين، أي منذ زوال حكم المسلمين في الأندلس نهائيا"، ومباشرة الممالك الأوربية بالهجوم على جميع الثغور المغربية في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، في محاولة العثور على طرق ملاحية توصلهم للهند والبلاد العربية الشرقية والآسيوية بالالتفاف حول بلادهم، وفي مسعى لتضييق الخناق عليهم وعلى تجارتهم عن طريق الاستحواذ على مفاتيح البحار العربية، مما أدى إلى ظهور أولى الحملات الأوربية المتمثلة بدولة البرتغال للمنطقة العربية ومنها عمان في مدخل الخليج العربي بعد استيلائهم على جزيرة مسقط المتحكمة بمضيق باب المندب وتجارة البحر الأحمر، واستولوا على جزيرة هرمز، المسيطرة على مدخل الخليج العربي، إذ استطاعوا من تحويل طرق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح.

كانت دوافع المحتل البرتغالي من خلال إسهامات الرحلات والبعثات الاستكشافية البرتغالية، أسبابا " مهمة ورئيسة في التحرك للسيطرة على عمان ومنطقة الخليج العربي لفترة تقارب القرن ونصف القرن أي منذ بداية القرن السادس عشر حتى منتصف القرن السابع عشر الميلاديين، وكان الرد الطبيعي لذلك المحتل هو انتفاض الشعب العربي في عمان لانتخاب الأمام ناصر بن مرشد اليعربي، الذي يعد عهده بداية عهد جديد في التأريخ العماني الحديث، إذ وضع الخطط الناجعة والواضحة للتخلص من الاحتلال البرتغالي، التي كانت الظروف قد ساعدته في احتلال الخليج العربي والمحيط الهندي وشرق أفريقيا، إذ هيأت جهود الدولة العثمانية والقوى الدولية في التخفيف من ضغطهم على عمان، والقضاء التام على مرتكزاتهم في المنطقة، فأن ما بني على القوة والعدة والعتاد في تمكين بقاءه ونفوذه، فأنه سيزول بزوالها.

الهوامش:

[1] مداد بن سعيد بن حمد الهنائي، التاريخ والبيان في أنساب قبائل عمان، دار الحكمة، لندن، 2009، ص66.

[2] أحمد الشامي، العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى، بحوث مقدمة إلى مؤتمر دراسات تأريخ شرق الجزيرة العربية، اتحاد المؤرخين العرب، الدوحة، 21-28 مارس 1976, ص331.

[3] كانت هذه السفن مصنوعة من ألواح مشدودة بالألياف، وتحمل الاسم العربي الخاص بها وهي المدرعات .(سليم طه التكريتي)، السيادة العربية على الخليج العربي منذ فجر التاريخ، مجلة آفاق عربية، العدد11، بغداد، تموز 1981، ص31.

[4] المصدر نفسه, ص31.

[5] عبد الفتاح إبراهيم، على طريق الهند، ط3، بغداد، 2004، ص42.

[6] عبد اللطيف ناصر الحميدان، التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية 1427-1525، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد (16)، 1980، ص54.

[7] تقع مسقط في الشرق الشمالي من عمان على ضفة خليج عمان تحيط بها الجبال من الجهات الثلاث من الغرب والجنوب والشمال, نيقولاس فان دام وآخرون، هولندا والعالم العربي منذ القرون الوسطى حتى القرن العشرين, تعريب: أسعد جابر، لاهاي، 1987, ص94.

[8] ناصر بن مرشد اليعربي (1624-1849م) هو ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب من ولد نعر بن زهران اليعربي، نشأ في الرستان، وحد عمان بعد أن كانت ممزقة، فاستولى على القلعة، وأدخل وازكي ونزوى وأستقر فيها، فانتظمت الديار العمانية، وكان حازما "شجاعا"، تمكن من تحرير البلاد من السيطرة البرتغالية عدا مسقط .ينظر :عبد الله بن خلفان بن قيصر، سيرة الإمام ناصر بن مرشد، تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي، وزارة التراث القومي، عمان، 1977، ص9-10.

[9] عبد الفتاح إبراهيم، المصدر السابق، ص26.

[10] سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، السلسلة السياسية (12)، بغداد، 1966 , ص24.

[11] سنى محمد عبد الجبار الطائي، الاستعمار الأوربي وأثره على العلاقات العربية الأفريقية في شرق أفريقيا، محاضرات ألقيت على طلبة الماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1988, ص45.

[12] سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي, ص24.

[13] المصدر نفسه؛ معد صابر رجب، الجهاد البحري العثماني، مجلة آداب الفراهيدي، عدد خاص بمؤتمر الآداب الخامس،2011, ص309.

[14] ياسين إبراهيم الجعفري، عروبة الخليج في منظور الجغرافية والتاريخ، مجلة آفاق عربية, العدد(2)، السنة السابعة، تشرين أول 1981، ص31.

[15] طارق نافع الحمداني، تاريخ الخليج العربي ومصادره في العصر الحديث، بغداد، 2010, ص120-121.

[16] سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، ص25؛ معد صابر رجب، الدور السياسي والتجاري للإمارات العربية في الخليج العربي 1258-1524, مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (19)، العدد (11)، كانون الثاني 2012، ص323-324.

[17] مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635، القاهرة، 1969، ص64.

[18] غانم محمد صالح، خليل فضل محمد الكبيسي، الخليج العربي، بغداد، 1984، ص41.

[19] طارق الحمداني، المصدر السابق، ص47–49؛ مصطفى عبد القادر وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، البصرة، 1984، ص17؛ سنى محمد الطائي، المصدر السابق.

[20] ستيفن هميسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربية جعفر الخياط، ط6، بغداد، 1985، ص134؛ سليمان الغنام، فصول من تاريخ الجزيرة العربية وجوارها الإقليمي، الرياض، 2005، ص ص108.

[21] سليمان الغنام، المصدر السابق, ص108–109؛ معد صابر، الدور السياسي...، ص319؛ طارق الحمداني، المصدر السابق، ص49–50.

[22] عماد الجواهري، صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي وحتى الحكم العثماني، بغداد، 1990،ص86.

[23] المصدر نفسه, ص88.

[24] طارق نافع الحمداني, المصدر السابق, ص29–30.

[25] المصدر نفسه، ص28؛ صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي1798–1810, بغداد،1979 ،ص 24؛ نيقولاس، المصدر السابق، ص106.

[26] مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، القاهرة، ط3، 1986،ص110.

[27] طارق نافع الحمداني, المصدر السابق, ص52.

[28] مايلز, المصدر السابق, ص111.

[29] ياسين ابراهيم الجعفري, المصدر السابق, ص39؛ طارق نافع الحمداني, المصدر السابق, ص52.

[30] المصدر نفسه, ص53.

[31] المصدر نفسه, ص57, 58.

[32] المصدر نفسه, ص63–64.

Sources and References

1. Ahmad Al-Shami, Trade Relations between the Gulf Countries and the Far East Countries, Research Presented to the Conference of History of Eastern Arabia Studies, Union of Arab Historians, Doha, 21-28 March 1976.
2. Stephen Hemisley Lawnrick, Four centuries of modern Iraqi history, transferred to Arabia Ja`far al-Khayyat, 6th edition, Baghdad, 1985.
3. Salim Taha Al-Takriti, Arab sovereignty over the Persian Gulf since the dawn of time, Arab Horizons magazine, No. 11, Baghdad, July 1981.
4. Salim Taha Al-Takriti, Conflict over the Arab Gulf, Political Series (12), Baghdad, 1966.
5. Suleiman Al-Ghannam, Chapters on the History of the Arabian Peninsula and its Regional Neighborhood, Riyadh, 2005.
6. Sunni Mohammed Abdul-Jabbar Al-Taie, European colonialism and its impact on Arab-African relations in East Africa, lectures given to master's students, Institute of Arab Research and Studies, Baghdad, 1988.
7. Salih Muhammad al-Abed, Britain's position on French activity in the Persian Gulf, 1798-1810, Baghdad, 1979.
8. Tariq Nafi Al-Hamdani, History and Sources of the Persian Gulf in the Modern Age, Baghdad, 2010.
9. Abd al-Fattah Ibrahim, on India Road, 3rd floor, Baghdad, 2004.

10. Abdul Latif Nasser Al-Humaidan, Political History of the Emirate of Jabour in Najd and eastern Arabia, 1427-1525, Journal of the College of Arts, University of Basra, No. (16), 1980.
11. Abdullah bin Khalfan bin Qaisar, biography of Imam Nasir bin Murshid, investigation by Abdul Majeed Haseeb Al Qaisi, Ministry of National Heritage, Amman, 1977.
12. Imad Al-Jawahiri, The Struggle of Political Forces in the Arab East from the Mongol Conquest to the Ottoman Rule, Baghdad, 1990.
13. Ghanem Muhammad Salih, Khalil Fadl Muhammad Al-Kubaisi, Arabian Gulf, Baghdad, 1984.
14. Myles, The Gulf Countries and Tribes, translated by Muhammad Amin Abdullah, Cairo, 3rd edition, 1986.
15. Medad bin Saeed bin Hamad Al-Hanani, History and Statement in the Genealogy of the Omani Tribes, Dar Al-Hekma, London, 2009.
16. Mustafa Salem, the first Ottoman conquest of Yemen 1538-1635, Cairo, 1969.
17. Mustafa Abd al-Qadir and others, The History of Modern and Contemporary Arab Gulf, Basra, 1984.
18. Maad Saber Ragab, Ottoman Sea Jihad, Al-Farahidi Literature Magazine, special issue of the Fifth Literature Conference, 2011.
19. Maad Saber Rajab, The Political and Commercial Role of the Arab Emirates in the Persian Gulf 1258-1524, Tikrit University Journal for Humanities, Volume (19), Issue (11), January 2012.
20. Nicholas Van Damme et al., The Netherlands and the Arab world from the Middle Ages to the Twentieth Century, Arabization: Asaad Jaber, The Hague, 1987.
21. Yassin Ibrahim Al-Jaafari, Gulf Arabism in the Perspective of Geography and History, Arab Horizons Magazine, Issue (2), seventh year, October 1981.